أنموذج من الرواية [1]

شهيدة — ما أغرب أطوار أمك : أتصدق أنى لم أرَ دموعها حتى اليوم وما أشد تأثير دمعة من عين امرأة جبارة ، مستبدة كأمك . (تجلس على المقعد)

الياس — (واقفاً) لعلها تكفر بهذه الدموع عن هفواتها السابقة ، لكن دعينا من البكاء الآن . فلا دموع أبى ولا بحار مثلها قادرة أن تعكر كأس سعادتى . (بحرارة) شهيدة : (يأخذ يديها فى يديه وينظر فى عينيها .) أنت لى الكل بالكل فى هذا العالم . وأكاد أعتقد أن العناية الآلهية قد أرسلتك لنجاتى . شهيدة : أنا عاجز أن أفسر لك أهمية حبك فى حياتى . قد مرّ بى أكثر خمسة وعشرين ربيعاً . وفى كل ربيع كنت أخرج الى هذه الحديقة وأرى هذه الاشجار مزهرة وأسمع هذه العصافير تزقزق وأرى السماء الزرقاء وأشعر بصوت النسيم البليل . لكنى قبل هذا الربيع لم

---

(١) الفصل الرابع صحيفة ١١٠

أكن أرى الجمال فى كل ذلك واليوم لا أرى الازهار فقط بل أرى الحياة تدب فى عروقها وأكاد ألمس أريجها . اليوم لا أرى زرقة السماء فقط بل أرى ماوراء السماء ولا أشعر بالنسيم فقط بل ألمس روح النسيم . وأسمع تغريد العصفور فأفهم مايقوله العصفور . وكل ذلك لأن حبك قد أعطانى نوراً جديداً لعينىَّ وقد كنت بدونك أعمى (يضع يدها اليمنى ثم اليسرى على فمه ثم يجلس بجانبها .) شهيدة : ما أجمل الحياة !

شهيدة — (تقهقه مخرجة من جيبها ورقة تقرأ بتمهل) بتاريخه نحن الواضعين أسماءنا أدناه قد تعهدنا أن نضع حداً لحياتنا بواسطة المشنقة...(تضحك)

الياس — (يخطف الورقة من يدها بلطف باسماً) ألا يكفيك هزءا بى حتى تذكرينى بجنونى فى مثل هذه الدقيقة التى أحسبها بدأ حياة جديدة لى ؟ كأن دهراً قد مر من يوم كتبت هذه الورقة حتى هذا اليوم ، لندفن الماضى ! (يمزق الورقة قطعا صغيرة) فأنا أتعهد الآن على نفسى أن أشنق

كل من لا يرى في الحياة سوى أشواكها وكل من يفرق بين قلبين يربطهما حب كحبنا . (تظهر فى البـاب أم الياس وقد أخذت زينة بيدها اليمنى وداود باليسرى وخليل يمشى وراءهم والكل يسيرون نحو الياس وشهيدة).

شهيدة — (بمزح) أوَ تشنق أمك كذلك اذا أصرت على رفضها بقبول اتحادنا ؟ (اذ ترى أم الياس قادمة) هاهى قادمة نحونا — فماذا تفعل إذا اقتربت منى وصاحت — « اغربى عن وجهي ؟ » (تبسم).

الياس — أنا أكفل رضاها . أنا أعرف كيف أرضيها الآن .

من أنت يانفسى

إن رأيت البحر يطغي الموج فيه ويثور
أو سمعت البحر يبكى عند أقدام الصخور
ترقبي الموج إلى أن يحبس الموج هديره
وتناجى البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك اليه
هل من الأمواج جئت ؟
ان سمعت الرعد يدوي بين طيات الغمام
أو رأيت البرق يفري سيفة جيش الظلام
ترصدي البرق الى أن تخطفي منه لظاه
ويكف الرعد لكن تاركا فيك صداه
هل من البرق انفصلت ؟
أم مع الرعد انحدرت ؟
إن رأيت الريح تذرى الثلج عن روس الجبال
أو سمعت الريح تعوى فى الدجى بين التلال

تسكن الريح وتبقى باشتياق صاغيه
وأناديك ولكن أنت عني قاصيه
في محيط لا أراه
هل من الريح وُلدت ؟
إن رأيت الفجر يمشي خلسة بين النجوم
ويوشي جبة الليل المولى بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالا صاعداً منك اليه
وتخرّى ، كنبي هبط الوحى عليه
بخشوع جاثيه
هل من الفجر انبثقت ؟
ان رأيت الشمس في حضن المياه الزاخرة
ترمق الارض وما فيها بعين ساحرة
تهجع الشمس وقلبي يشتهي لو تهجعين
وتنام الارض لكن أنت يقظى ترقبين
مضجع الشمس البعيد
هل من الشمس هبطت ؟

ان سمعت البلبل الصياح — بين الياسمين
يسكب الالحان ناراً فى قلوب العاشقين
تلتظى حزناً وشوقاً والهوى عنك بعيد
فأخبرينى هل غنا البلبل فى الليل يعيد

ذكر ماضيك اليك

هل من الالحان أنت ؟

إيه نفسى ـ أنت لحن فىَّ قد رنَّ صداه
وقعتك يد استاذٍ خفى لا أراه
أنت ريح ونسيمٌ أنت موج ، أنت بحر
أنت شمس أنت رعد أنت برق أنت فجر

أنت جزء من إله :

الشعر والشعراء

بحث إنتقادى أدبى

٣

حرية الابداع

قوانين الشعر . كسواها من الشرائع والسنن . تقيد الحر . وتعتق المقيد . فهى سجن للقريحة الوقادَة ومسرح لاتُحد أطرافه للقريحة الخامدة .دعونى أبسط هذه الحقيقة بالمثل.

تصوروا حظيرة محاطة بسياج من الشوك . فيها الأسد والضبع والنمر والذئب والثعلب والأرنب والخروف والحية والسلحفاة وربوات من هوام الهواء وحشرات الارض . تحفرها زمرة من البدو مدججة بالرماح والسيوف والنبال . وتصورا أن أكبر فضيلة يطلبها صاحب تلك المخلوقات منها هى بقاؤها ضمن السياج .

يتخطر الأسد ذهابا وإيابا فيصل إلى السياج وينظر إلى ماوراءه فيرى فضاء لا يحد ومجالا لا يقاس . يسمع نبضات قلبه تتضاعف ويشعر بنار تتأجج فى صدره . أصوات تناديه من الغابات . وأشباح في الفضاء تسحر أبصاره ونسمات من الجبال تزيد ناره ضراما وتولد تحت أرجله مناخس لا ترحم ولا يطاق ألمها . انظروا إلى عضلاته تتجمع وتتوتر وإلى عينيه تقدحان شرراً . وقد تحفز للوثوب من فوق السياج ليلبى دعوة الغابات ويخفف دقات قلبه.

« قف ! » — خيال الخفير يمر أمامه فيذكره أن بقاءه ضمن السياج هو أكبر فضيلة . بل الفضيلة الوحيدة التى يطلبها منه صاحبه . والأسد ليس آخر المخلوقات فى طلب الفضائل اذا كانت ترضى صاحبه فيرتد عن السياج وقد فارق البرق عينيه وسكنت لواعج النار فى صدره .

كذا يفعل النمر والذئب والضبع . ولكن الآلام التى يقاسونها وغصات الفؤاد التى يشعرون بها عند ارتدادهم

عن السياج تختلف باختلاف أطباعهم . وشتان بين النمر والحمل .

هنا يتقدم ابن آوى الى السياج وبينا هو يحفر بيديه منفذاً ليخرج منه يرى صاحبه يقترب . وعصاه فى يده فيحييه بلطافة فائقة ويسأله عن صحة « المدام معلمته » ويعود جارا ذيل الفخر بان صاحبه لم يكتشف حيلته . وأنه لا يزال يعده من الطائعين.

أما الأرنب فيدنو من السياح وإذ يلقى نظرة إلى ماوراء الشوك ويرى ظل الأشجار ويسمع حفيف اوراقها أو يسمع وقع أقدام الخفير يقفل للحال راجعاً شاكرا ربه الذى منّ عليه بصاحب شفوق ليعتنى به وبسلامته ، وليقيم حوله الحصون والقلاع كى لاتلحقه يد أثيمة من أيادى تلك الأبالسة المنفية خارجاً التى لاسياج حولها يقيها غدرات من هم أشد منها ولا صاحب لها يحافظ على امنها . وفوق ذلك فصاحبه راض عنه لانه من الطائعين

وهناك أقبلت السلحفاة تتهادى وقد حفرت فى قلبها

تلك الآية الذهبية — فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة لاتعد الدقائق ولا الساعات . ترى بقية الحيوانات حولها تركض وتزأر وتزمجر وتشكو وتتذمر وهى تسأل ذاتها بدهشة كلية مامعنى تلك الحركة كلها وما عسى أن يكون سبب ذاك التذمر ؟ تسمع الأسد يئن من ضيق المجال ويطلب الفضاء . فتنظر يمنة ويسرة ولا ترى من عقبة فى وجهها كيفما انقلبت . فتضحك حتى تنقلب بطنا لظهر وتقول فى ذاتها حقا « إن الجنون فنون »

واذا حدث وقادتها خطواتها الى السياج يوما تدير للحال رأسها يمنة أو يسرة وتتابع السير . ويكفيها أن صاحبها راض عنها أبداً . فهى لم تسمع منه كلمة تأنيب فى حياتها .

أما عن الحشرات فلا تسل . ربوات منها تدب فوق ربوات وكلها لاتطلب أكثر من فتر من الارض . فهى ضمن السياج آمن على ذواتها وحريتها مما لو كانت خارجه .

وفوق ذلك هى تتنعم برضا صاحبها وتفتخر بنفس الفضيلة التى تربط النمر ورفقه ضمن السياج.

ولو تصورتم الآن بدل سياج الشوك قواعد الشعر العربى وبدل الحيوانات ضمن السياج شعراءنا (وليعذرونى على هذا التشبيه فالانسان حيوان ناطق على كل حال) وبدل صاحب الحظيرة وحراسها مئات الاجيال والدواوين التى التفت حول أشواك السياج فحولتها الى أسنة تقطر سما وحراب ينظر من أطرافها الموت وأكسبتها حياة هيئة سرية غريبة فجعلتها مقدسة فى أعيننا، مرهوبة فى قلوبنا، بعيدة عن أن يتناولها قلم الناقد أو أن يلحقها لسان المصلح.

لو تصورتم ذلك لأدركتم كم دفنت اللغة العربية ضمن السياج من أرواح حرة ونسمات سماوية وقرائح حية وكم أدخلت اليه من أرانب وسلاحف وحشرات، ولأدركتم فى الوقت نفسه حالة بشرى خاطئ مثلى جاء يحفر الآن حول ذلك السياج، بل السور الذى شادته الاجيال وقدسته

الأيام والشرائع والعادات فجعلته مدفنا لحرية الخيال وقصراً للزعانف والديدان.

أنا أحفر ، ولا أمل لى أن أزعزع أركان هذا السور الى الأبد (وحبذا لو كان ذلك فى إمكانى .) إنما لى أمل أن أجد من يضم فأسه الى فأسى . لى أمل أن أسمع صدى ندائى يتردد فى ألحان بعض شعرائنا الناشئين . لى أمل أن أحرر ولو قريحة واحدة شعرية من قيود كبلتنا بها زمرة من أبناء البادية قبل أن رأينا العالم أو رآنا العالم.

دعوا النسور تحلق فى جوها فالفضاء كله وجد لأجلها دعوا البزاة تسبح تحت سمواتها . دعوا الصقور تمزق الهواء بأجنحتها وبربكم لا تحصروها مع الدجاج فى الأقنان !

إذا شق عليكم أن تودعوا بحور الشعر أفلا سبيل لكم أن تستغنوا عن علمى العروض والقوافى ؟ وإن لم يسهل عليكم أن تطرحوا الأوزان أفلا طريقة نطرح بها عنا القافية ؟ وإذا استحال علينا أن ننبذ القوافى أمن الواجب أن نلصق بكل بيت من أبيات القصيدة ذنباً و « كشكشاً » متشابهين ؟

ان كانت الغاية من التفقيه تشنيف السمع فبئسها موسيقى نشنف بها آذاننا اذا كنا نسمع بين اللحظة والأخرى صوتاً واحداً لايتغير كوقع الدلفة أو لقيق الضفادع تصورا قصيدة من ١٢٠ بيتاً أو أكثر تسمعون فيها كل عشر ثوان كلمة « عين » . نعم ، شجية هذه الموسيقى ولا شك ، ولكن عند بدوى يسير وراء جماله فيقطع ألحانه على وزن وطئها . وما أجملنا اليوم نقلد البدوى فى نيويورك وباريس وبيروت والقاهرة الخ ! ! !

حتى لو كان فى ذاك بعض اللذة الموسيقية فمن الحيف والجهل أن نضحى لأجلها حرية الابداع فى الشاعر وأن نطلب منه أن يشوه الفكر الذى يود نقله والصورة التى يرغب نقشها لأجل تلك اللذة التى لا أقدر أن أدعوها ، مع كل اعتبارى للموسيقى ، سوى بلادة موسيقية .

حرام أن نشترى الزجاج بالماس ، وأن نضحى الجوهر فى سبيل العرض . قد دفعنا حتى هذا اليوم جزية باهظة للقواعد والتقاليد ولا نزال ندفع ضريبة فاحشة من

الأفكار الجميلة والخيالات السحرية والصور الفنية لتلك التقاليد عينها . ويخال لى — وأنا مؤكد تقريباً حقيقة خيالى — ان تلك التقاليد هى أكبر الأسباب بل السبب الوحيد الذى حرمنا من شاعر روائى كبير كهوميروس ومن شاكله من القدماء وقضى على أبناء الضاد أن لا يكون لهم آثار فنية شعرية كاليونان والهنود والعجم وغيرهم .

لكن تصوروا — حفظكم الله — هوميروس يكتب الياذته أو أوديسيته باللغة العربية ! أو شكسبير ينسق رواياته الأبدية حسب قواعدنا الشعرية .

تصوروا دانت ينظم « كوميديته الآلهية » بقافية واحدة أو بعشر قواف اذا شئتم ، أو ملتن ينشد « فردوسه المفقود وفردوسه المردود » بقافية عينية أو حائية أو شينية ! . .

أغريب بعد ذلك أن كل ماظهر من الشعر فى اللغة العربية من عهد عاد وثمود إلى الآن لم يتعدَّ بضعة أبواب محصورة بين حماسة وغزل وهجو ومدح ورثاء ؟

أمن العجب ان شعراءنا اليوم لا يتجاوزون هـذه الحدود التى وضعها لهم الأسلاف ؟ أنا لا ألومهم فى ذلك ، انما لا أقدر أن أفهم كيف انهم لا يزالون يجرون نيراً ثقيلا تقرحت رقابهم تحته ولم يخطر لواحـد منهم أن يطرحه عن عنقه .

أنا لا أصـدق بوجود شاعر عربى لم يناطح القوافى ويطاردها ولم يصرف دقائق ، بل ساعات ، بل ليالى فى حربها والتنقيب عنها ، أنا لا أصدق بوجود واحد لم يشعر فى مثل تلك الساعات بثقل النير وضغطه وبلعنات تتراكض إلى أطراف لسانه خارجة من أعماق قلبه ، وإذا كنا إلى الآن لم نسمع شكوى ولم نرَ اعتراضاً فذلك لأننا ألفنا احتمال الضنك « على السكت » ، وكثيراً ما نفضـل أن نصبر على الضيم من أن نرفع صنده صوتاً .

الفنون الجميـلة ، كسواها من مناهج هـذه الحياة وفروعها ، معرضة للظلم والفساد والعبودية والاستبداد فهى تحتاج بين الفرصة والأخرى إلى محررين يجرأون أن يرفعوا

صوت الاعتراض ضد قيود الاستعباد . للمماليك محرروها وللأديان مصلحوها وللفنون محيوها . والشعر كفن جميل يحتاج دائماً الى نسمة حياة جديدة تنعش عظامه القديمة . وشعرنا العربى لا دواء له سوى ثورة تزعزعه من أركانه فتقتلع كل ما عفن وانتن من أصوله وتقيم على أنقاضه بناء جديداً للقريحة العربية الحرة .

وانى لأرى الغيوم تتلبد والفضاء يقتم والبرق يلمع وأسمع زعزعة الريح عن بعيد وولولة الأشجار فى الغابات .

وانى لأشتم رائحة العاصفة وقد انتشرت فى الهواء ، وليس ذاك اليوم بعيداً حين تقصف أول رعدة وتنفجر أول سحابة لتجرف أوهامنا الشعرية وتعتقنا من قيود تكاد تذهب بأنفس ما فينا من المواهب والآمال . لا بل قد أتى ذاك اليوم فانى لأقرأ فى نثر جبران خليل جبران مرثاة للشعر القديم وقواعده ، وفى بعض أشعار « اليف » أرى لحد القافية المتتابعة في كل بيت من أبيات القصيدة .

واذا كنت قد أطلت الحديث فى هذا الباب فذاك

لأن قشعريرة تعتريني عنـد ما أفـكر بالساعات والأيام والسنين الذهبية التي تصرفها شبيبتنا داخل المدرسة وخارجها في الاعتناء بحفظ كل ما يتعلق بالنظم من القواعد والقوانين وفي درس قشور الشعر لا لبه . لأني أرى أمتنا السورية التاعسة مشبكة بالقيود من الداخل والخارج فيشق عليَّ أن نرانا نمكن ما نقدر على حله منها بأيدينا وكفانا يا قوم ما نحمله من تظلم الغير وتعديهم . وأخيراً لأني أرى مواهب شعرية حقيقية وقرائح حرة حية تذهب ضحية الأوهام التي ورثناها عن أبناء البادية فتنسحق تحت ثقلها أو تضيع بين منعرجاتها وسراديبها وبما اني لا أرى عندنا من المواهب ما نقـدر أن نستغني عنه أو نفرقه على الغير أو نقدمه ذبيحة لعلماء الشعر وأئمة اللغة فأنا أغار على كل ذرة منها تذهب سدى أو تموت لأن جراثيم الموت التي ورثناها عن أجدادنا تولد معها وفي امكاننا أن نستأصل تلك الجراثيم اذا شئنا .

وقد آن لنا أن نقف ولو مرة في ألفي عام أمام هـذا السور الحديدي من الأوهام والتقاليـد التي زفها الينا

الأسلاف ونسأل ما هو وهل نحن فى حاجة اليه . آن لنا أن نكف ولو برهة قصيرة عن حرق بخورنا امامه ليتبدد عنه دخان الدهر فنراه ـــ فى هيأته الحقيقية . ولو فعلنا ذاك لانقشعت عن أبصارنا غمامة رافقتنا دهوراً ولم نكن ندرى بها .

فحبذا يوم نسمع فيه شاعرنا يوقع ألحانه على الأوزان التى يختارها قلبه وتميل اليها نفسه دون أن يرى ذاته مربوطا بلوازم العروض والقوافى . حبذا اليوم يوم لا نعود نعبد فيه الهيأة الخارجية أو نقيس الشاعر بقواعد الصرف والنحو . وحبذا اليوم ندفن فيه الطائيات واللاميات والعينيات والخاليات في غبار التاريخ ونفتح لشعرائنا مجالا للخيال والتعبير لا تحصره قافية ولا يقيده روى !

أخي

أخي : إن ضجّ بعد الحرب غربيٌّ بأعماله ،
وقدّس ذكر من ماتوا ، وعظّم بطش أبطاله ،
فلا تهزج لمن سادوا ، ولا تشمت بمن دانا ،
بل اركع صامتاً مثلي بقلب خاشعٍ دامٍ
لنبكي حظّ موتانا

* * *

أخي : ان عاد بعد الحرب جنديٌّ لأوطانه ،
وألقى جسمه المنهوك في أحضان خلّانه ،
فلا تطلب اذا ما عدت للأوطان خلانا ،
لأن الجوع لم يترك لنا صحباً نناجيهم
سوى أشباح موتانا

* * *

أخي : ان عاد يحرث أرضه الفلاحُ أو يزرعْ ،
ويبني بعد طول الهجر كوخاً هدّه المدفعْ ،

فقـد جفّت سواقينا ، وهدّ الذلّ مأوانا ،
ولم يترك لنا الأعداء غرساً في أراضينا
سوى أجياف موتانا

* * *

أخي : قد تمّ ما لو لم نشأه نحن ماتمّـا ،
وقد عمّ البـلاء ، ولو أردنا نحن ماعمّـا ،
فلا تندب ، فاذن الغـير لا تصغى لشكوانا ،
بل اتبعني لنحفر خندقاً بالرفش والمعولْ
نُواري فيه موتانا

* * *

أخي من نحن ؟ لا وطنٌ ، ولا أهلٌ ولا جار ،
اذا ظعنا ، اذا قمنا ، ردانا الخزى والعار ،
لقـد خمّت بنا الدنيا ، كما خمّت بموتانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خنـدقاً آخر
نُوارى فيه أحيانا

الحنطة والزوان

(نظرة فى الأيوبيات)

يتوهم البعض أننى أجد لذة كبيرة في التنديد بشعرنا وشعرائنا والمجاهرة بفقرنا الى الأدب والادباء. يقولون إننى لا أرى في حياتنا الادبية سوى جهتها السوداء ، وانى أحول نظرى عن كواكبها وشموسها، وان لا وتر عندي أضرب عليه سوى وتر الندب ، وانى أسير فى حقل حياتنا فلا تقع عينى سوى على زوانه وأشواكه . وما حيلتى اذا كنت لا أرى من حولى سوى الزوان والشوك ؟ اذا شكوت فقرنا فلاعتقاد راسخ فى عقلى بأننا لن نسعى وراء تحسين حالتنا حتى ندرك كل ما فيها من البؤس والظلمة والخمول . واذا ندبت وجه يومنا القاتم فلأنى أؤمن بان فينا من القوى والمواهب ما يجعل يومنا باسما ويبدل ظلمتنا بنور . وأظن أن يومنا يتمخض بغد باهر لكن ولادة هذا الغد ستكون

محاطة بأوجاع مبرحة سببتها لعنات أمسنا . ونحن نشعر الآن بهذه الاوجاع لكننا نحتملها كما تحتملها الوالدة التى ستصبح إما .

وفى « الأيوبيات » نرى صورة هذا الدور الانتقالى الذي نتكلم عنه فى ديوان رشيد أيوب قد لامس طرف ليلنا أهداب فجرنا . وهذه حلاوة الديوان فى نظرنا .

من يطالع قصيدة « فرديناند وجيشه » أو « حنين » أو « رثاء المطران هواوينى » أو « وقفة على الهدسن » وسواها ولا يسمع فيها أصواتا قديمة عرفناها وألفناها وملها سمعنا ؟ أم من يقرأ أبياتا كهذه :

اذا ماانسيم الشوق هز قريحتى تساقط منها الدر فى روضة الشعر

أو —

لاشاع شعرى بما احتوى دررا ولا تباهت بنظمى العرب

أو —

ألمت بصدرى كل نازلة اذا ألمت بصم الراسيات تزعزع

الخ ...

— من يقرأ مثل هذه الابيات ولا يدرك على الفور انها رنات أوتار قديمة فى شعرنا أخذت والحمد لله تتقطع رويداً رويداً ؟

اذا سئمنا القديم ونبذناه فليس لاننا نعد كل قديم باليا فاسداً . ربما صعب على شاعر اليوم أن ينظم فى موضوع لم تتناوله قرائح الشعراء قبله ربما لم يترك لنا امرؤ القيس والنابغة والمتنبي وأبو تمام وسوفوكلس وهوميروس ودانتى وشكسبير وملتون ما نقدر ان ننظم اليوم فيه الشعر وندعوه جديداً لكن الشاعر الحقيقى من يري هذه الاشياء نفسها فيطرحها فى أتون عواطفه ويمددها على سندان قريحته ويصقلها بمصقل أفكاره ثم يقدمها لنا في هيأة جديدة تساعدنا لنرتفع فوق اقذار الحياة وشناعتها الى جمال البقاء وكماله . وأكثر شعرائنا الذين يشكون قلة المواضيع الشعرية ، ولذلك يعالجون المطروق والمبتذل ، لم يدركوا هذه الحقيقة — ولعل أبناء الغد سيدركونها

اذا ضاقت بالشاعر الطبيعة كلها فلا يجب أن تضيق به نفسه . نفس الشاعر وقلبه خزينة لاتفرغ لمن يعرف

اسرارها ويفكر فى غوامضها . وهذه الخزينة هى التى لجأ اليها رشيد أيوب فاتحفنا منها ببعض هدايا ثمينة هى الحنطة فى ديوانه وما بقى فزوان . من هـذا القبيل نعد قصيدة « خليانى » هنا نسمع روح شاعر حقيقى نظرت الى ما حولها فرأت نفسها « غريبة » ورأت « شأنها عجيبا » ليس يحلولها « سوي الليل الطويل » لذاك تطلب أن تنفرد بنفسها وتصيح بل تتوسل ـ « خليانى ! » . هذه الروح نفسها تحيا مع الطبيعة فى كل أحوالها وأطوارها وتنشد —

أحب الشتاء لان له ضبابا كهمى ثقيلا كثيف
وأهوى الربيع فانفاسه دواء لجسمى العليل الضعيف
وأصبو الى الصيف متأنسا بوحشة ليلى الطويل المخيف
وتشتاق نفسى الخريف وقد تجنى علىّ رمان الخريف

هـذه النفثات من قلم الشاعر تكفر عن كل ما فى الديوان من المساوئ . تنسينا هنا بيتاً ركيكا وهناك قافيـة « محشوة — لضرورة الشعر » .

لا فلسفة فى الديوان نقدر أن نعيرها هنا انتباهاً خاصا.

شاعرنا يكثر التأفف من أمور الحياة ولا يحاول أن يعلل ولو أبسطها . فكر بأمر الموت والحياة فلم يجد جوابا سوى —

فلعمرى ليس الا حلما ذلك الفردوس قصه الرواة

ثم عاد فوجد الأفضل أن يترك كل هذه الأمور المبهمة للخالق . لذلك ينصحنا —

خل الأمور لربها لا شئ فى الدنيا عرف

هيهات تدرك يا ءها مازلت تجهل ما الألف

دعى البعض رشيد أيوب « شاعراً رقيقا » ولا ننكر عليه « لقبه » لأن فى بعض قصائده — كتلك التى يخاطب فيها شبابه — من الرقة ما لا نراه فى أشعار كثيرين من اخوانه فى الفن . لكن أهمية « الأيوبيات » — كما قلنا سابقا — فى انها تمثل الدور الحالى فى حياة شعرنا — دور الانتقال — إذ قد جمعت بين القديم المستهجن والحديث المستحب . فيجب أن تطالع لما فيها من الرقة والحداثة .

النهر المتجمد

***

يانهر ، هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالأمس كنت مرنما بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالأمس كنت تسير لا تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق
بالأمس كنت اذا أتيتك باكيا سليتنى
واليوم صرت اذا أتيتك ضاحكا أبكيتنى
بالأمس كنت اذا سمعتَ تنهدي وتوجعى
تبكى . وها أبكى أنا وحدى ، ولا تبكى معى
ماذا جرى لك بعد ما قد كنت تهزج فى الصباح ؟
هل أجمدتك كآبتى وسمعت ندبى والنواح ؟
ماذا جرى لك بعد ما قد كنت تنشد فى المسا ؟
هل داهمتك مصائب مثلى فأخرسك الأسى ؟

ما هذه الأكفان — أم هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟
ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يحثو كثيباً كلما مرّت به ريح الشمال
والحور يندب فوق رأسك ناثراً أغصانه
لا يسرح الحسّون فيه مردداً ألحانه
تأتيه أسراب من الغربان تنعق فى الفضا
فكأنها ترثى شبابا من حياتك قد مضى
وكأنها بنعيبها عند الصباح وفى المساء
جوق يشيع جسمك الصافى الى دار البقاء

*
* *

لكن سينصرف الشتا وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكر موجتك النقية حرة نحو البحار
حبلى باسرار البقا تملى بانوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافى النسيم

وتعود تسبح فى مياهك انجم الليل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك مسترا من لجين
والشمس تستر بالازاهر منكبيك العاريين
والحور ينسى مااعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ انفه ويميس مخضر الفنن
وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب

* * *

قدكان لى ، يانهر ، قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه أميال وآمال تموج
قدكان يضحى غير ما يمس ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه أمواج الأمل
فتساوت الأيام فيه — صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة — نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء ،
سيان نوح البائسين وضحك أبناء الصفاء

نبـذته ضوضاء الحيـاة فمال عنها وانفرد
وغدا جمادا لايحن ولا يميـل الى أحد .
وغـدا غريبا بين قوم كان قبـلا منهـم
وغـدوت بين الناس لغزا فيـه لغز مبهـم

***

يانهر ذا قلبي . أراه — كما أراك — مكبلا
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك ، وهو — لا ...

obeikandl.com

أيليا أبو ماضى

شاعر قرض الشعر وهو فى الرابعة عشرة من سنيه. فاصبح والشعر فيه ملكة والقوافى عبيد له خاضعة يقودها كيف شاء.

وُلد فى المحيدثة بلبنان سنة ١٨٨٩ وهاجر الى مصر سنة ١٩٠٠ ومكث فيها منصباً على المطالعة والدرس لنفسه حتى سنة ١٩١١ فغادرها الى أميركا. وسكن سنسناتى. ثم جاء نيويورك فى صيف عام سنة ١٩١٦ ليشتغل بالادب وله « ديوان أبى ماضى ». طبع الجزء الأول منه فى مصر والثانى فى نيويورك.

الفقير

همٌّ ألمَّ به مع الظلماء ... فنبا بمقلته عن الاغفاء
تمس أقام الحزن بين ضلوعه ... والحزن نارٌ غير ذات ضياء
يرعى نجوم الليل ليس به هوي ... ويخاله كلفاً بهنَّ الرائى
فى قلبه نار « الخليل » وانما ... فى وجنتيه أدمع «الخنساء»
قد عضه اليأس الشديد بنابه ... فى نفسه، والجوع فى الاحشاء
فأقام حِلسَ الدار وهو كأنه ... خلو تلك الدار فى بيداء
يبكى بكاء الطفل فارق أمه ... ما حيلة المحزون غير بكاء
حيران لا يدرى أيقتل نفسه ... عمدا فيخلص من اذى الدنياء
أم يستمر على الغضاضة والقذى ... والعيش لا يحلو مع الضراء
طرد الكرى وأقام يشكو ليله ... يا ليل طلت وطال فيك عنائى
يا ليل قد أغريت جسمى بالضنى ... حتى ليؤلم فقده أعضائى
ورميتنى يا ليل بالهم الذى ... يفرى الحشى والهم أعسر داء
يا ليل ما لك لا ترق لحالتى ... أتراك والأيام من أعدائى
يا ليل حسبى ما لقيت من الشقا ... رحماك لست بصخرة صماء

بن يا ظلام عن العيون فربما طلع الصباح وكان فيه عزائى

* * *

وارحمتا للبائسين فانهم موتى ونحسبهم من الاحياء
انى وجدت حظوظهم مسودة فكأنما قدت من الظلماء
أبداً يسرّ بنو الزمان وما لهم حظٌّ كغيرهم من السراء
ما فى أكفهم من الدنيا سوى أن يكثروا الاحلام بالنعماء
تدنوا بهم آمالهم نحو الهنا هيهات يدنو بالخيال النائى
بطر الأنام من السرور وعندهم ان السرور مرادف العنقاء
انى لأحزن أَن تكون نفوسهم
غرض الخطوب وعرضة الارزاء

* * *

أناما وقفت لكي أشبب بالطلا ما لى وللتشبيب بالصهباء
لاتسألونى المدح او وصف الدمى انى نبذت سفاسف الشعراء
باعوا لأجل المال ماء حيائهم مدحاً وبت أصون ماء حيائى
لم يفهموا بالشعر الا أنه قد بات واسطة الى الاثراء
فلذاك ما لاقيت غير مشبب بالغانيات ، وطالب لعطاء

ضاقت به الدنيا الرحيبة فانثنى بالشعر يستجدى بنى حواء
شقى القريض بهم وما سعدوا به لولاهمُ أضحى من السعداء
نادوا علينا بالمحبة والهوى وصدورهم طويت على البغضاء
ألفوا الرياء فصار من عاداتهم لعن المهيمن شخص كل مرائى
ان يغضبوا مما أقول فطالما كره الأديب جماعة الغوغاء
أو ينكروا أدبى فلا تتعجبوا فالرُمْد يؤلمهم طلوع ذكاء
أوَكلما نصر الحقيقة فاضل قامت عليه قيامة السفهاء

* * *

أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفي الا لأندب حالة التعساء
علّى أحرك بالقريض قلوبكم ان القلوب مواطن الأهواء
لهفى على المحتاج بين ربوعكم يمسى ويصبح وهو قيد شقاء
أمسى سواءً ليله وصباحه شتان بين الصبح والامساء
قطع القنوط عليه خيط رجائه والمرء لا يحيا بغير رجاء
لهفى ولو أجدى التعبس تلهفى لسفكت دمعى عنده ودمائى

* * *

قل للغنى المستمرّ بماله مهلا لقد أسرفت فى الخيلاء

جبلَ الفقير أخوك من طين ومن ماء ، ومن طين جبلت وماء
فمن القساوة أن تكون منعما ويكون رهن مصائب وبلاء
وتظل ترفل بالحرير أمامه في حين قد أمسي بغير كساء
أتضن بالدينار في اسعافه وتجود بالآلاف في الفحشاء
أنصرَ أخاء فان فعلت كفيته ذلّ السؤال ومنّة البخلاء

* * *

اذوى اليسار وما اليسار بنافعٍ ان لم يكن أهلوه أهل سخاء
كم ذا الجمود ومالكم رهن البلى وبمَ الغرور وكلكم لفناء
ان الضعيف بحاجةٍ لنضاركم لا تقعدوا عن نصرة الضعفاء
أنا لا أذكّر منكم أهل الندى ليس الصحيح بحاجة لدواء
ان كانت الفقراء لا تجزيكم فالله يجزيكم عن الفقراء

؟

قال الغراب وقد رأى كلف الورى
وهيامهم بالبلبل الصداح
لم لا تهيم بى المسامع مثله
ما الفرق بين جناحه وجناحى ؟
انى أشد قوى وأمضى مخلبا
فعلام نام الناس عن تمداحى ؟

***

امفرق الاحباب عن أحبابهم
ومكدر اللذات والأفراح
كم فى السوائل من شبيه للطلا
فعلام ليس لها مقام الراح ؟
ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها
السر كل السر فى الأرواح

والصوت من نعم السماء ولم تكن
ترضى السما الا عن الصلاح
حكم القضاء — فان نقمت على القضا
فاضرب بعنقك مدية الجراح :

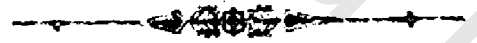

obeikandl.com

متى يذكر الوطن النوّم

جلست وقد هجع الغافلون ... أفكر فى أمسنا والغد
وكيف استبد بنا الظالمون ... وجاروا على الشيخ والامرد
تخللت اللواعج بين الجفون ... وأن جهنم فى مرقدى
وضاق الفؤاد بما يكتم ... فأرسلت العين مدرارها

***

ذكرت الحروب وويلاتها ... وما صنع السيف والمدفع
وكيف تجور على ذاتها ... شعوب لها الرتبة الارفع
وتخضب بالدم راياتها ... وكانت تذم الذي تصنع
فباتت بما شيدت تهدم ... صروح العلوم وأسوارها

***

نساء تجود بأولادها ... على الموت والموت لا يرحم
وجند تذود بأكبادها ... عن الارض والارض لا تعلم
وتغذو الطيور بأجسادها ... فان عطشت فالشراب الدم

وفي كل منزلة مأتم تشق به الغيد أزرارها

***

لقد شبع الذئب والاجدال واقفرت الدور والاربع
فكم يقتل الجحفلَ الجحفلُ ويفتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتلوا ولن يستعيدوا الذى ضيعوا
فبئس الالي بالوغى علموا وبئس الالى أججوا نارها

***

أمن أجل أن يسلم الواحد تطل الدماء وتفنى الالوف
ويزرع أولاده الوالد لتحصدهم شفرات السيوف
أمور يحار بها الناقد وتدمى فؤاد اللبيب الحصيف
فياليت شعرى متى نفهم معانى الحياة وأسرارها

***

وحولت طرفى الى المشرق فلم أر غير جبال الغيوم
تحول على بدره المشرق كما اجتمعت حول نفسى الغموم
فاسندت رأسى الى مرفقى وقلت وقد غلبتنى الهموم

بربك أيتها الانجم متى تضع الحرب أوزارها ؟

***

كما يقتل الطير فى الجنة ويُقتنص الظبي فى السبسب
كذلك يُجنى على أمتى بلا سبب وبلا موجب
فحتام تؤخذ بالقوة ويقتص منها ولم تذنب
وكم تستكين وتستسلم وقد بلغ السيل زنارها

***

وسيقت الى النطع سوق النعم مغاويرها ورجال الادب
وكل امرىء لم يمت بالخذم فقد قتلوه بسيف السغب
فما حرك الضيم فيها الشمم ولا رؤية الدم فيها الغضب
تبدلت الناس والانجم ولما تبدل أطوارها

***

أرى الليث يدفع عن غيضته بأنيابه وبأظفاره
ويجتمع النمل فى قريته اذا خشي الغدر من جاره
ويخشى الهزار على وكنته فيدفع عنها بمنقاره
فلا الكاسرات ولا الضيغم ولا الشاة تمدح جزارها

عجبت من الضاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف
يبيتون فى وجل ناصب فان أصبحوا لجأوا للكهوف
وممن يصفق للضارب وأحبابه يجرعون الحتوف
متى يذكر الوطنَ النوم كما تذكر الطير أوكارها

obeikandl.com

الياس فرحات

خصلة الشعر

خصلة الشعر التى أعطيتنيها　　عند ما البين دعانى بالنفير
لم أزل أتلو سطور الحب فيها　　وسأتلوها الى اليوم الأخير

***

خنت عهد الحب لا بأس فانى　　مكتف بالأثر الحلو الثمين
فانا ما عدت أحيا بالتمنى　　بعد ما منيتنى عشر سنين
أشكر الله فما الاخلاف منى　　اننى كنت لك الصب الامين
راجعى سيرة حبى ، راجعيها　　فهي نور ساطع للمستنير
واذا مرت بك الريح سليها　　انها تعرف من أمرى الكثير

***

هيكلُ الحب تداعى وترامى　　تاركا للعين أطلال الوفاء
كتبا توقظ فى قلبى الهياما　　كلما نام على ذكر الجفاء
اننى أرنو الى الحظ احتراما　　فأرى فى الحظ انتقاض الرجاء
وأرى الأسطر آثاراً تقيها　　غيرتى الشماء من عبث المصور

وأرى الحبر وقد جف، شبيها بدم جف على بعض الصخور

***

وارى فيما أرى شكلا مريعاً خصلة الشعر أراها فاخال
جثة الحب ، وقد خر صريعاً
تحت انقاض عليها الدمع سال
فيفيض القلب من عينى دموعا
وتغيب الروح عن دنيا الضلال
تلك آثار هوانا فانظريها
تعلمى ما ذا جنى ذاك الغرور
ودموع صنتها لا تذرفيها
ليس يمحو جرمك الدمع الغزير

***

ربطة القلبين حلتها يداك ويدى تأبى امتهان الشعرات
لم يحركها الى الاثم جفاك فهى لا تعرف غير الحسنات
لمسها مجموعة الشعر يحاكى لمس هذا الثغر تلك الوجنات

ان أعد يوماً الى الحى تريها مثلما سلمتها يوم المسير
هى كالطفلة في حضن أبيها لا ترى الا حناناً وشعور

***

هى اصفى منك حباً ووداداً هى أوفى منك رعياً للذمم
هى فى غى الصبى لم تتمادى هى لم تتبع هوى جر ندم
أنت قوضت من الحب العمادا أنت خنت العهد عمدا وهى لم
لم تراوغ ، لم ترى الصب بفيها عسلا والحقد فى القلب يثور
قد وفتنى وأنا أيضاً أفيها فكلانا حافظ عهد العشير

***

كلما أذكر أيام صبانا وليالها اللذيذات العذاب
تصهر الاحزان فى قلبى الجنانا وأقاسى كل انواع العذاب
فاذا أبصرت ان الموت حانا وتصورت نزولى فى التراب
نشقه من خصلة الشعر تليها قبلة تخمد ذياك السعير
فتخوض النفس بحر الانس فيها
ويزول اليأس عن قلبى الكسير

يا حمامه

يا عروس الروض يا ذات الجناح — يا حمامه
سافرى مصحوبةً عند الصباح — بالسلامه
واحملى شوق فؤادٍ ذى جراح — وهيامه

* * *

أسرعى من قبل يشتدّ الهجير — بالنزوح
واسجى ما بين أمواج الأثير — مثل روحى
واذا لاح لك الروض النضير — فاستريحى

* * *

رفرفى فى روضة «الافق الجميل[1]» — وتغنى
وانظرى محبوبتى عند الأصيل — وتأنى
فهى إن تسألك عن صبٍ عليل — كان عنى

* * *

---

(١) تعريب اسم (بللواوريزنتي) عاصمة ولاية ميناس حيث قضى الناظم نحواً من سنتين.

خبريها : أن قلب المستهام — ذاب وجداً
وسليها كيف ذيّاك الغرام — صار صداً
فهيامى لم يعد فيها هيام — بل تعدّى

* * *

ذكريها بأُويقات اللقاء — والتصابى
حين كنا كل صبح ومساء — فى اقتراب
علّ بالتذكار لى بعض الشفاء — من عذابى

* * *

فاذا ماأظهرت حباً ولين — واشتياقا
فاجعلى ما بيننا عهداً مكين — واتفاقا
وسليها رأيها فى أى حين — نتلاقى

* * *

واذا أبدت جفاء وصدود — واعتسافا
فاتركيها . انها فى ذا الوجود — ستُكافا
حين يأتيها زمان فتريد — وتجافى

* * *

وغداً ان أقبل الفصل المخيف — برعوده
ما الذى يبقى من الورد اللطيف — غيرعوده ؟
ان للحسن ربيعاً وخريف — فى وجوده

obeikandl.com

أليف

ترنيمة السرير

ظلام الويل قد جنّا وبوق الهم قد رنّا
فنم يا طفل ، لا يهنا غنى بات شبعانا

قتام اليأس غطانا فنم ، لا عين ترعانا
اذا ما صبحنا حانا حسبنا الصبح أكفانا

ألا يا همُّ ، يكفينا لقد جفت مآقينا
لو ان الدمع يغذونا أكلنا بعض بلوانا

بكى طفلي وما ناما وقضّى العمر صوّاما
جنى الآباء آثاما عليها الله جازانا

بكى طفلي فلا يرضع ثدّيًا درّها الدمع

نضا دمعى ولم يشبع وكان الدمع طوفانا

***

ظلام الليل قد أطفا نجوماً تجذب الطرفا
فما للطفل لا يغفى أيبغى اليوم الحانا ؟

من الألحان لا أدرى سوى أنشودة الصبر
أغنيها من القهر لطفل بات جوعانا

ملاك الرب فى الحلم يناجى الطفل كالأم
يناديه من النجم ألا نم : وقتنا حانا

يناجيه بأيام ستأتي ، خيرها طام
سيروى ماؤها الظامى ويشفى النور عميانا

ويهديه الى قطر كثير النور والزهر
ويأويه الى قصرٍ فيغدو الطفل سلطانا

فيؤتى بالذي يرغب من المأكول والمشرب
فيبقى منهما الاطيب لأم صبرها خانا

***

أصوتى ذاك قد غنى ؟ أقلبي ذاك قد أنّا ؟
كفى ندباً ، كفى حزناً ! فقلب الطفل ما لانا

هزير الريح ما يسمع وندب الروح ما أسمع
كلانا منصت يخشع الى الاصوات حيرانا

ظلام الليل قد أطبق فنم يا طفل لا تقلق
يعود النور والرونق اذا ما الله أبقانا

obeikandl.com

النهاية

كفنوه !
وادفنوهُ
و ا سكنوهُ
هوّة اللحد العميق .
واذهبوا لا تندبوه، فهو شعبٌ
ميّت ليس يُفيق

***

ذلّلوهُ
قتلوهُ
حمّلوهُ
فوق ما كان يطيق .
حمل الذل بصبر من دهور
فهو فى الذل عريق

***

obeikandl.com

هتك عرضٍ،
نهب أرضٍ،
شنق بعضٍ
لم تحرك غضبه.
فلماذا تذرف الدمع جزافاً؟
ليس تحيا الحطيه.

***

لا وربى!
ما الشعبٍ
دون قلبٍ
غير موتٍ من هبه.
فدعوا التاريخ يطوى سفر ضعف
ويصفى كتبه

***

ولتتاجرْ
فى المهاجر

obeikandi.com

ولتفاخر
بمزايانا الحسان.
ما علينا ان قضى الشعب جميعاً —
أفلسنا فى أمان ؟

***

رب ثارٍ
رب عارٍ
رب نارٍ
حركت قلب الجبان —
كل ذي فينا ، ولكن لم تحرّك
ساكناً الا اللسان.

obeikandl.com

امين مشرق

فى الليل

***

بعدما تسرع ساعات الضجر ذاهبات بنهار الكمد
أتسلى فيك ياليل السمر أنت سلوى البائس المنفرد

***

أنا ياليل غريب مبهم وكذا أنت بهيم وغريب
وعجيب فى الحشا ما اكتم والذى تكتمه أنت عجيب
وكلانا قد براه السقمُ وكلانا ليس يأسوه طبيب
قد تماثلنا شفاءً وكدر وتشابهنا بصمت أبدي
رب صمت ضم معنى وخبر لذكاء العاقل المتقد

***

اسرعت رجل الاسى تدنو الىّ
فسمت من خوفها نفسى اليك

وطما يومى باحزانى علىّ فهمى قلبي باشجانى عليك
ادمعاً اسكبها من مقلتىّ علىّ فيها راحتى ،فى راحتيك
ولوانى اسطعت دمعى ما انتثر واصطبارى قدة من جلمد
ولو انى اسطعت سرى ماظهر بعد ما كتمته فى كبدى

***

خلت قلبي ناسياً عهد الهوى
وظننت الوجد من صدرى ذهب
فتشامخت على أهل الجوى وتضاحكت افتخاراً وطرب
ولنفسي قلت إن مال السوى للتصابى فلك المجد طلب
فاذا بى نسمة عند السحر سرحت مثل لهاث الولد
هف قلبي للقاها وطفر طائشاً من وجده لايهتدى

***

آه أحلام الصبا كم حملت بجناحيها نفوس العاشقين
آه أوهام الصبا كم حولت
عن طريق المجد مجرى السالكين
آه أشواق الصبا كم قتلت بجواها من بنات وبنين

مات عيشي قبل موتي واندثر　　بين عينين وشعر أسود
ونهود في قدود كالثمر　　وخدود فوقها الورد الندى

***

مصت الاشواق روحي مثلما　　مصت الريح عبير النرجس
وأنا بالذكر أحيا ألما　　شاديا فيما بقي من نفسي
« جادك الغيث اذا الغيث همى　　يازمان الوصل بالاندلس »
ياليالي الحب في ضوء القمر　　يا مجالي انسيَ المبتعد
ذهبت لم يبق لي الا صور　　تتراءى بعدها في خلدي

***

في دمي للحب شوق وحنين　　وبنفسي للمعالي نزعات
فهو لا يترك لي الا الأنين　　وهي لا تورث غير الحسرات
ايها الليل اذا حظ الحزين　　أيها الليل، اذا سر الحياة
بين آلام ووجد وخطر　　نتمنى أننا لم نولد
راح أمسي بشبابي ونفر　　يا ترى ماذا الاقي في غدي

يا أمى

ياعلة كيانى ، ورفيقة أحزانى . يارجائى فى شدتى ، وعزائى فى شقوتى . يالذتى فى حياتى ، وراحتى فى مماتى ، ياحافظة عهدى ، ومطيبة سهدى ، وهادية رشدى ، ياضاحكة فوق مهدى ، وباكية فوق لحدى — أمى وما أحلاك يا أمى !

اذا تركنى أهلى فأنت لاتتركينى ، وان ابتعد عنى أحبابى فانت لاتبتعدين ، وان نقمت على جميع الحياة فأنت تصفحين وترحمين . أنت يامسكنة وجعى وألمى ، ومبيدة بؤسى وهمي ، أنت وما أصفاك يا أمي !

على بساط الأوجاع ولدتنى ، وبأيادى الآلام ربيتنى ، وبعيون الاتعاب رعيتنى ، وبصدر المشقات حميتنى . ثم كبرت فقلوت آلامك ، وهجرت وسلوت أيامك . هكذا نسيت رحمى ، واحتقرت دمي . فما اعقنى ، وما أوفاك يا أمى !

قد غبت عنك يا امى فغاب عن عينى وجهك الباسم بملامحه الرقيقة الرزينة، ومعانية الدقيقة الحنونة . وتراكمت على رأسى هموم الحياة بضجيجها الهائل فضعضعت فكرى، وزلزلت قلبى . وتقاذفتنى أمواج المتاعب والشقاء فغرت فى لجج طاميـة، وظلمات داجيـة، وبعينين غشى عليهما الرعب نظرت من أعماق قنوطى فرأيت وجهك اللطيف الثابت يبتسم الى من الاقاصي البعيـدة فبكيت وبكيت وصرخت « يا امى ! »

آه ما أقسي الغربة، وما أمر الوحشـة . قد كرهت البعـاد يا أمى واشتاقت نفسى ماضيها الأمين . قد كرهت التمشى بين القصور الفخمة والمبانى الشاهقة واشتاق قلبى الى بيتنا الصغير المنفرد . قد كرهت روائح العطور الفائحة من التماثيل المتخطرة فى « برودواى » واشتاقت حواسى الى رائحة الامومة المنتشرة من فسطانك العتيق. قد كرهت نيويورك وكرهت أميركا وكرهت العالم ولم يبق لى فى الحياة الأكِ — الأكِ يا امى :

فى المساء عندما انطرح على فراشى الخشن القاسى أذكر يديك اللطيفتين الناعمتين . وفى الليل لما تمتزج أفكارى بأبخرة الأحلام أشعر بقدميك الصغيرتين ينقران الأرض حول سريرى . وفى الصباح افتح عينى لأراك فلا أرى غير جدران غرفتى السوداء ، ولا أسمعك ، فلا أسمع غير أصوات الغرباء . وفى النهار أمشى متلفتا بين النساء مفتشا مسائلا . أيتها النساء هل رأيتن أمى ؟ »

جراء الكلاب تجلس فى احضان امهاتها ، وفراخ الدجاج تحتمى تحت أجنحة امهاتها ، وغصون الاشجار تبق معانقة امهاتها . وأنا — أنا وحدى — بعيد عنك مشوق اليك ياأمى.

اذا مت ياامى ، اذا قتلنى وجدى ، ودفنت آمالى فى هذه الارض القاسية الغريبة ، فاجلسى عند الغروب قرب غابة السنديان وأصغي . هناك روحى امتزجت بنسيمات الغابة وأشجارها يرتلن بهدوء متمايلات مرددات « ياأمي ! ياامى يا امى »

دموع الامل

***

أتانى الزمان على غفلة فأطفأ من عيشتى نورها
وماتت لأحيا الفتاة التى رأيت ولم أر لى غيرها
فكيف أكفكف من أدمعى وحزنى يأكل فى أضلعى

***

صغيرين كنا كفرخى حمام نعيش بظل الصبى الناضر
فنلعب آنا وآنا ننام وزندى على صدرها الطاهر
يلاعب شعراتها أصبعى وقلبى من سكره لايعى

***

ويالية بئس من ليلة يقطع قلبى تذكارها
أشدت عليها يد العلة وغابت من العين أنوارها
حنوت على جسمها الموجع وناديت ربى فلم يسمع

***

وماتت وقد همست مثلما يسر النسيم باذن الأراك

وقالت وقد نظرت للسما هناك بعيد التنائى أراك
فلا تبك يأساً ولا تجزع فما مات حبي ولم يهجع

***

أليلى لقد مات صبرى متى يعود التلاقى ويحيا الأمل
وراح الربيع وجاء الشتا وليل حياتى طويل الأجل
وضاق الوجود على موضعى وسد بوجهاته الأربع

***

أليلاى حزنى شديد صميم وجسمى أضعف من ظله
وعقلى سقيم وعيشى أليم فما عدت أقوى على حمله
وعهدك فى القلب حي معى وصوتك مازال فى مسمعي

***

يرى الناس صمتى ولا يعرفون فيحتقرون فؤادى الودود
فأمشى وأتركهم يهزأون لأنى غريب بهذا الوجود
أخبئ نفسي ولا ادّعي فليس بهذى الدنى مطمعي

***

أطارد همى بلحن الوتر ألوذ بأناته الواهيه

وأنظم شعرى كنظم الدرر فلا اللحن يجدى ولا القافيه
ولا كل هذا الورى مشبعى وأنت ذهبت فلا ترجعى

***

وحقك لولا الرجا بالخلود لذبت على يأسى المحرق
ولكن لى أملا أن يعود صفاء الحياة وأن نلتقى
سأحمل حزنى الى مضجعى واجرع من كوبه المترع

***

فياروح ليلاى ياراحتى وسوسنتى بين شوك البنات
ويا كل حبى ويامنيتى ويانور نفسي بليل الحياة
سلام على طهرك الارفع ويارب عجل على مصرع

أردية الاباء

(باختصار)

الى اخوانى الشبان واخواتى الشابات الناظرين الى الحياة الجديدة بعيون المحبة والشوق — الى كل فتى وكل صبية ينظران الى أثواب الآباء بازدراء واشمئزاز والى كل قديم بكره ونفور — الى العقول المستنيرة التى تطلب الخروج من ظلمة الأوهام — الى الارواح المرتعشة حنينا الى الحرية، المتعطشة الى ينابيعها العذبة ـ الى النفوس الباسلة، الكارهة جلجة السلاسل، المتمردة على أجيال العبودية ـ الى جميعكم أيها البواسل ارفع صوتى بامل وافتخار وانادي ـ سيروا أمامنا عقبات كثيرة، ولكنها ستذوب أمام العزم الذى لايذوب. وطريقنا طويلة طويلة فليكن صبرنا طويلا طويلا ولتكن همتنا شديدة شديدة. لاتلتفتوا الى خلف ولا تحاولوا اصلاح القديم فانه أصبح للموت بل اجتهدوا فى

اصلاح نفوسكم وفى تقوية ذواتكم لاستقبال الحياة ـ حياة الجديد ـ حياة القوة .

هبوا ! وللنفض عنا غبار الخضوع والطاعة العمياء . أنت أيها الفتى ، وأنت أيتها الفتاة اللذان ربط الحب قلبيهما فتعاهدا على الزواج ، لماذا تخضعان لارادة والديكما فتمزج أنت حياتك بحياة لم توجد لها وتلتصقين أنت برجل لم يخلق لك ؟ لماذا تقتلان الحب لتحيا وهما يدعى الطاعة الوالدية ؟ وأى فضل تحرزانه فى هـذا العمل ؟ وأنتِ ، أيتها المرأة المظلومة ، التى تحمل « جزدانها » قارعة الأبواب من صباحها الى مسائها لتجمع بضعة ريالات ينثرها زوجها على مائدة القمار ويرجع ليـلا لمجازاتها بالشـتم والضرب ، لماذا لاتتركين هذا الزوج الفاسد وتبصقين فى وجهه ووجه كل مذهب وشريعة تربطك به الى الابد ؟ وأنت ، أيتها الصبية التى زوجوها صغيرة بكهل لاتميل اليه فتركته وآلت على نفسها أن تعيش حياتها وحيـدة لئلا يسلقها الناس بالسنتهم البذيئة ، لماذا تبعدين عنك شابا يعبـدك وتعبدينه اكراما

لتلك الألسنة ؟ ولماذا لاتدوسين كل قلنسوة ولحية تقفان ينكما وتفقئين حصرما فى عيون ترى الحقيقة عاراً وزنى ؟ قد بدأت فلماذا لاتكملين ؟ أنتم ، أيها المظلومون جميعكم لماذا لاتكسرون هذه القيود وتحطمون هذه السلاسل القديمة وتمرحون فى فضاء الجديد وتعتصمون فى معاقل القوة ؟ ؟

انظروا ـ ان كثيرين من ذوى العقول القديمة والنفوس الذليلة الخاضعين لضلال العصور المظلمة سيرمون هذه السطور بالجهالة والكفر ويضربون بها عرض الحائط باحتقار وغضب وعداء . أنا لاأبالى ، لان سطورى موجهة اليكم واليكم تذهب . هؤلاء القوم أصبحوا على حافة القبر ، فلا يخيفكم منهم وعيد ولا يغركم فيهم سكوت . اذا ضحكوا منكم فاضحكوا منهم . وان نصحوكم فسدوا آذانكم ولا تلتفتوا . وان وقفوا فى طريقكم فدوسوهم وسيروا . انما هم للعدم وأنتم ـ للجديد ـ للقوة

سيروا يا اخوتى ! انى أرى الثورة تقترب . كلما نظرت الى هذه الوجوه المتشنجة والسحنات المتقبضة وكلما تأملت بهذه العيون الحادة الملتهبة الساكنة تمثل لى من ورائها أرواح هائجة كالبحار ، متدفقة كاللجج ، ونفوس ملتهبة كالبراكين ، متواثبة كالصواعق ، وسمعت دمدمة بعيدة من أطراف الآفاق تقترب وتنجلى رويداً رويداً فأقول فى نفسي —

ثورة ! طوبى للمتمردين ! طوبى للأبطال !

من وراء الجثث المتدلية من حبال المشانق — من وراء الأجساد الذائبة على نيران التوجيع — من وراء الشراذم المتبددة فى جميع أقطار الأرض لا تحمل راية ولا تعرف وطناً — من وراء هذه الأيام السوداء والليالى المخيفة المحشوة بالمهالك — من وراء جميع ذلك أرى طلائع صبح ناصع البياض تبصبص فى جبينه أسلاك من نور شمس لامعة مبشرة باقتراب نهار ساطع . ووسط هذا البهيق الجميل المهيب أرى عسكراً من الشبان المفتولى السواعد

والصبايا الموردات الخدود والأولاد الممتلئين نشاطاً وحركة يرفعون رؤسهم بكبر وافتخار ويصيحون بأصوات تكاد تطبق الأفق منشدين :

من ترى برداء ما رآه لأبيه
نعمةُ الله عليه وعلى كل بنيه

وليم كاتسفليس

قصة أُم

١

تزوجته بلا حب ، ولكنها لم تكره على قبوله
فكانت بعملها هذا كألوف من سواها، وكان كألوف غيره
استمالها زخرف الزواج ، وأغرتها الثروة
واكثر من هذا كله — جذبتها عاطفة الأمومة
عاطفة تولد مع الطفلة ، وتترعرع مع الابنة ، وتنمو مع الفتاة
فبين أخوها يلعب بالاكر تعانق الأبنة ألعوبتها ،
فتنتقل من الاعتناء بآخر ألعوبة الى العناية بأول ولد

***

وهو استمالته فيها الجمال والتقوى والطهارة .
فالمرء يميل إلى ماليس فيه
وما اكثر مايقترن النمر المفترس بالحمل الوديع
وما اكثر ماتجمع الوسادة الواحدة فوق بياضها الناصع

قذارة الوحل وطهارة الزنبقة النقية

٢

انتهت الاحتفات بالعرس وهنأها الناس .
وأصبحا فى عرف شريعة البشر شخصا واحدا .
ودخلت الفتاة مضجعا لم يدفعها اليه ميلها .
واحتملت قبلة لم تتولد الرغبة اليها فى نفسها ،
وعانقها زند لم يضطرب له قلبها ،
ولمستها شفتان لم يرتجف للمسها جسمها .
وهكذا تم تمثيل رواية الحب . وهى هى بطلة روايتها
فلم يصادف ذلك التقليد صدى فى اعماق أحشائها .
فكانت كالقربان على هيكل مولوخ الفظيع
تلتهم النيران جسدها ، والناس من حولها فرحون ،
لأنهم يرون الزخرف الخارجى ، والقلوب لا يرون .
فشعرت بفراغ من حولها كأن الدنيا خلت من ساكنيها .
كانت تشبع من الاكل ، ومن النوم ، وتلبس أفخر اللباس
ولكن قلبها عطشان ونفسها جائعة قد ملأها اليأس .

اذ ترى زوجها يشتهى الجسم منها ولا يبالى بالنفس
فكانت كل قبلة منه كأنها طعنة ، وكل ضمة كأنها ذلة
وهكذا وقفت فتاة فى مأتم شبابها ،
وصبية باكية فوق ضريح صباها .

٣

وكأنما الطبيعة ندمت على قسوتها .
وأرادت محو اثمها والتعويض عن ظلامتها .
فأيدت السنة الأزلية والقاعدة الأبدية .

***

وأشعرت الفتاة بازدواج الحياة فيها .....
تغيرت مجاري أفكارها المظلمة السوداء
وانقشعت الغيوم المتلبدة في جو حياتها .
اذ وجدت الحب : ... حبها لذاتها !
تلك الذات التى ستلد ذاتا !

* *

ولما جاء الصبي بين الابتسامة والألم .

رفعت رأسها من الوساده لتراه .
فشعرت أن الحياة جميلة بمرآه .
وصبت كل ما فى نفسها من الكنوز المكنوزة
ومافى قلبها من العواطف المخزونة
فوق ذلك الرأس الصغير الأصلع !

٤

تبسمت لها الحياة، لا بل ضحكت
وأصبحت شمسها تشرق من ثغر الطفل ،
وسعادتها تتدفق من أصابعه الصغيرة .
ولكن واحسرتاه ! ماهذه الغيمة المتلبدة
فى جو حياتها الجديدة ؟
ويح المرض ! ألم يجد سوى طفلها ؟
هى ليس لها فى العالم سواه
فما بال الاله يجربها هذه التجربة ؟

***

أسرع الأطباء وبذلوا فى معالجته العناية

ولكن المرض السارق كان كل يوم فى زيادة .
وكانت الأم كل يوم تقترب شبرا من القبر :
ثم جاء يوم اشتدت فيه وطأة الداء .
وحار فى أمرهم الأطباء
فدعوا لنجدتهم أستاذا شهيرا
فتح له العلم أبوابه المغلقة ، وكشف له أسراره الغامضة
جاء الاستاذ وفحص الطفل مليا
ثم نادى الاب واختلى به برهة .
ولما عاد الى سرير الطفل المحتضر
حيث الأم جاحظة العين ، محلولة الشعر
تنظر الى شفتيه لتقرأ عليهما الموت أو الحياة
كان جبين الأستاذ الشيخ مقطبا
فعطف على الام وقال لها متأثرا —
« يا ابنتى . لم يبق محل للأمل الكاذب .
« هذا الطفل سيعود عن قريب الى صانعه
« وانصح لك ألا تعرضي طفلا آخر للعذاب

« قبل أَن يبرأ زوجك من علته ! »
فصاحت الفتاة وقد دارت من حولها الأرض
« زوجى ؟ ماهى علته ؟ وأي دخل لعلته بطفلى ؟ »
فقال الطبيب . « أن زوجك مصاب « بالداء »
ومن كانت هذه علته يجنى على ولده ونسله ! »

٥

لما عادت الفتاة الى رشدها كان الغلام قد قضى !
وأبوه واقف الى جانب السرير ، مطأطأ الرأس .
فنهضت ومشت الهوينا الى حيث زوجها
ولم تك فى عينها دمعة ، لأن الدمع كان فى قلبها
دنت منه فزاد رأسه انحناء .
وعلت جبهته حمرة كانت قد محتها السنون .
فقالت بهدوء كأن الجحيم لم يك فى احشائها .
« يارجل . أنت قتلت سعادتى وهنائى ؟
« وجعلتنى أمة بلا ارادة فى مضجع العار !
« وسلبتنى حق ارثى من الطبيعة أمى !

« ولـكنى لم أشك منك أو اليك ولم احتج .
« ولـكن .. ولـكن .. بأى حق تقتل طفلى ؟
« ماذا جناه نحوك ملاكى هذا . ياقاتل ؟
« بماذا أساء اليك حتى ذبحته يافاتك ؟
« ماذا فعل حتى خنقته بيدك أيها الوحش ؟ »
ثم اختنق الـكلام فى حلقها
وخرجت عيناها من حدقتيها .
فضحكت ... ضحكت مقهقهة . وتركت الغرفة . . .

٦

هنالك فى المقبرة ضريح صغير .
لاتذبل الزهور من حوله
لأن يد الحبيبة تحفظها زاهية زاهرة
زر الضريح الصغير قبيل الغروب
تجد هنا لك امرأة كللها الشيب بثلوجه
جالسة على مقعد خشبى
كأنها تمثال الحزن الابدى

تم